المنجيات من عذاب يوم القيامة

دراسة في ضوء العقيدة الإسلامية

Saves from the torment of the Day of Resurrection

A study in the light of the Islamic faith

م.د. أسرار ثامر هادي العبيدي

ديوان الوقف السني/ دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية/

Asrarthamer77@gmail.com

ملخص البحث

تميز بحثنا هذا بذكر المنجيات من عذاب يوم القيامة والفوز بالجنة، وهذه المنجيات كثيرة لكننا ذكرنا امهاتها ومهماتها، إذ يبين البحث ما على العبد فعله من أجل الوصول إلى الجنة والنجاة من عذاب يوم القيامة من خلال ما تناولته من مباحث ومطالب، فجاء المبحث الأول بأربعة مطالب: المطلب الأول: التوبة، والمطلب الثاني: الإكثار من الاستغفار، والمطلب الثالث: الرجاء في الله تعالى والخوف منه سبحانه وتعالى، والمطلب الرابع: الصبر على البلاء .

والمبحث الثاني أيضاً بأربعة مطالب: المطلب الأول: الزهد في الدنيا، والمطلب الثاني: الحب في الله تعالى والرضا عنه سبحانه وتعالى، والمطلب الثالث: حسن النية والإخلاص لله تعالى، حسن التفكر والاستقامة .

وتوصلت إلى نتيجة مفادها: أن من عمل وتمسك بهذه المنجيات وصل بإذن الله تعالى إلى الفوز بالجنة وهذه هي عقيدة كل مسلم .

الكلمات المفتاحية: ((المنجيات، عذاب، يوم القيامة)).

Abstract

Our research was distinguished by mentioning the salvations from the torment of the Day of Resurrection and winning Paradise. These salvations are many, but we mentioned their main ones and their tasks, as the research shows what the servant must do in order to reach Paradise and be saved from the torment of the Day of Resurrection through the topics and demands that I discussed. The first research came with four demands. The first requirement: repentance, the second requirement: asking forgiveness frequently, the third requirement: hope in God Almighty and fear of Him, Glory be to Him, and the fourth requirement: patience in the face of affliction.

The second section also has four requirements: the first requirement: asceticism in this world, the second requirement: love for God Almighty and satisfaction with Him, Glory be to Him, and the third requirement: good faith and sincerity to God Almighty, good thinking and uprightness.

I reached the conclusion that: Whoever works and adheres to these salvations will, God Almighty willing, attain Paradise, and this is the belief of every Muslim.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين حبيبنا وشفيعنا وسيدنا محمد ناصر الحق بالحق والهادي إلى الصراط المستقيم وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد:

استفتح بخير الكلام للفوز بجنة الرحمن والخلاص من النيران بقوله تعالى:﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1] .

جعل الله تعالى الجنة لعباده العابدين والعاملين والطائعين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وأمرهم بتقواه والسعي لتحقيق رضاه، ووضح لهم ما يجب عليهم فعله ليصلوا إلى رحمته في الحياة الدنيا وجنته في الآخرة، وهذه هي العقيدة الصحيحة الخالية من الانحرافات .

ومن هذا المنطلف جاءت درستنا لبحثنا الموسوم بـ (المنجيات من عذاب يوم القيامة – دراسة في ضوء العقيدة الإسلامية –) وتكون من مبحثين: المبحث الأول وفيه أربعة مطالب: المطلب الأول: التوبة، والمطلب الثاني: الإكثار من الاستغفار، والمطلب الثالث: الرجاء في الله تعالى والخوف منه سبحانه وتعالى، والمطلب الرابع: الصبر على البلاء .

وجاء المبحث الثاني أيضاً بأربعة مطالب: المطلب الأول: الزهد في الدنيا، والمطلب الثاني: الحب في الله تعالى والرضا عنه سبحانه وتعالى، والمطلب الثالث: حسن النية والإخلاص لله تعالى، حسن التفكر والاستقامة .

وختاماً أقول: أني بذلت ما استعطت أن أبذله من بحث وجهد في هذا البحث، وأسأل الله تعالى أن يكون علماً نافعاً وعملاً متقبلاً .

المنجيات من عذاب يوم القيامة – دراسة في ضوء العقيدة الإسلامية –

أن المنجيات التي يتحلى بها القلب كثيرة ويجب على كل مسلم تحلية قلبه بها فهي من الأخلاق والخصال المحمودة والتي تنجي من عذاب يوم القيامة وسنذكر في بحثنا هذا مهماتها وأمهاتها ونتطرق بالكلام عنها بشكل مجمل وموجز .

(١) سورة الزخرف: الآية (٧٢) .

المبحث الأول: التوبة والإكثار من الاستغفار، والرجاء في الله تعالى والخوف منه، والصبر على البلاء

المطلب الأول: التوبة

أولاً: تعريف التوبة لغةً واصطلاحاً .

التوبة لغة: التوب جمع توبة، والتوبة الرجوع عن الذنبِ[١].

اصطلاحاً: « الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود فيه، وهي مبدأ طريق السالكين، ومفتاح سعادة المريدين، وشرط في صحة السير إلى الله تعالى»[٢] .

وقيل: الرجوع إلى الله بحل عقدة الإصرار عن القلب، ثم القيام بكل حقوق الرب، وهي الرجوع عن الأفعال المذمومة إلى الممدوحة[٣].

ثانياً: شروط التوبة:

ذكر العلماء رحمهم الله تعالى شروط للتوبة لابد منها ولا تتم التوبة إلا بها وهي كالآتي:

١. الندم بالقلب على الذنوب السالفة .

٢. الإقلاع عن الذنب ومعناه: أن لا يتوب من ذنب وهو مقيم عليه وملازم له .

٣. العَزْم على أن لا يعود إلى الذنوب ما عاش . وهذه الثلاث لا بد منها في التوبة من الذنوب التي تكون بين العبد وبين ربه .

٤. ردُّ المظالم إلى أهلها . وهذا الشرط بين العبد وبين غيره من العباد[٤] .

ومن شروط التوبة أيضاً ترك قرناء السوء، وهجر الأصحاب الفسقة الذين يرغبون ويحببون للعبد

(١) ينظر: مجمل اللغة لابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت:٣٩٥ه)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ط٢، (بيروت-١٩٨٦م)، كتاب التاء، باب التاء والواو، ج١، ص١٥١؛ التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت:٨١٦ه)، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت -١٩٨٣م)، ص٧٠.

(٢) حقائق عن التصوف: لفضيلة الشيخ عبد القادر عيسى (ت:١٤١٢ه)، د.ط (د.م- د.ت)، ص٢٣١.

(٣) ينظر: التعريفات للجرجاني: ص٧٠.

(٤) ينظر: إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت:٥٠٥هـ)، دار المعرفة، د. ط، (بيروت- د.ت)، ج٤، ص٣؛ النصائح الدينية والوصايا الإيمانية: الحبيب عبد الله بن علوي الحداد الحضرمي الشافعي، (ت:١٧٢٠م)، دار الحاوي، ط٣، (د.م - ١٩٩٩م) ص٣٨٤، ٣٨٥؛ قل هذه سبيلي: السيد محمد بن علوي بن عباس المالكي المكي الحسني، (ت: ٢٠٠٤م)، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط٣، (الرياض-١٩٩٩م)، ص١٠٥.

المعصية، بل وينفرونه من الطاعة، والالتحاق بصحبة الصادقين الأخيار، لكي تكون صحبتهم سياجاً منيعاً يردعه عن العودة إلى حياة المعاصي والمخالفات[1] .

فيتبين من هذه الشروط أن التوبة هي ليست قول العبد بلسانه أستغفر الله وأتوب إليه من دون الندم بالقلب، ومن دون الإقلاع عن الذنب، فإذا لم يتم الندم بالقلب والإقلاع عن الذنب مع عدم الرجوع إليه فلا تتحقق أو تتم التوبة لله تعالى .

ثالثاً: قبول التوبة:

« التوبة إذا اجتمعت شرائطها، فهي مقبولة لا محالة، ولا يخفى عليك ذلك إن فهمت معنى القبول، فمعنى القبول: أن يحصل في قلبك استعداد القبول لتجلي أنوار المعرفة في القلب ... ونسبة التوبة إلى القلب نسبة الصابون إلى الثوب ولا بدَّ أن يزول منه الوسخ إذا استعمل فيه على وجهه، ومن تاب فإنما يشك في قبول التوبة؛ لأنه ليس يستيقن تمام شروطها، كما أن من شرب المسهل لا يستيقن حصول الإسهال به؛ لأنه لا يدري وجود تمام الشرائط في أدويتها، ولو تصور أن يعلم ذلك، لتصور أن يعلم القبول في حق الشخص المعين، ولكن هذا الشك في الأعيان لا يشككنا في أن التوبة في نفسها بطريق القبول لا محالة»[2]

رابعاً: الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة:

أ. من القرآن الكريم: هناك الكثير من الآيات الكريمة التي تدل عن التوبة وعلى سبيل الفائدة سنذكر البعض منها وعلى النحو الآتي:

١. قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[3].

وجه الاستدلال: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ تبين لنا هذه الآية الكريمة أن من أعظم وأكبر المنجيات هي التوبة إلى الله سبحانه وتعالى من الذنوب جميعها والتي رغبهم فيها ووعدهم بقبولها[4]، أي: من جميع ما

(١) حقائق عن التصوف لعبد القادر عيسى: ص٢٣٢ .
(٢) الأربعين في أصول الدين في العقائد وأسرار العبادات والأخلاق: الأمام حُجة الإسلام أبي حامد الغزالي (ت:٥٠٥هـ)، عني به وصححه وخرج أحاديثه: عبد الله الحميد عرواني، مراجعة الشيخ الدكتور: محمد بشير الشقفة، دار القلم الأولى، د.ط (دمشق -٢٠٠٣م)، ص١٩٤
(٣) سورة النور: جزء من الآية (٣١) .
(٤) ينظر: النصائح الدينية للحبيب عبد الله بن علوي الحداد: ص٣٨٣؛ قل هذه سبيلي للسيد محمد المالكي المكي: ص١٠٤.

وقع التقصير من الأوامر والنواهي يا أيها المصدقون بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، وفي هذه الآية دليل أن الذنب لا يخرج العبد من الإيمان؛ لأنه أمر بالتوبة والتوبة لا تكون إلا من الذنب ولم يفصل بين الكبائر وغيرها فقال بعدما أمر بالتوبة:» أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ « سماهم مؤمنين بعد الذنب، ثم قال:» لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ « أي تنجون من العذاب، فالتوبة إذن أن تبدل المعصية بالطاعة[1].

٢. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾[2].

وجه الاستدلال: ﴿تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾

تبين هذه الآية الكريمة أن من اجتمعت شروط التوبة في حقه، فأنه تعالى يقطع بقبول توبته كرماً منه سبحانه وتعالى وفضلاً[3].

ب. من السنة النبوية الشريفة:

١. قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا »[4]

وجه الاستدلال: (يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ) أي: إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها، فبسط اليد استعارة في قبول التوبة وورد لفظ بسط اليد؛ لأن العرب إذا رضي أحدهم الشيء بسط يده لقبوله وإذا كرهه قبضها عنه فخوطبوا بأمر حسي يفهمونه، وأما اليد الجارحة فمستحيلة في حق الله تعالى[5].

---

(١) ينظر: تفسير التستري: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (ت:٢٨٣ه)، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، المحقق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت-١٤٢٣ه)، ص١١١؛ بحر العلوم : أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي (ت:٣٧٣ه)، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، د.ط، (بيروت- د.ت)، ج٢، ص٥١٠ .

(٢) سورة التحريم: جزء من الآية (٨) .

(٣) ينظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت:١١٨٨ه)، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، ط٢، (دمشق-١٩٨٢م)، ج١، ص٣٧٢ .

(٤) الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل، د.ط، (بيروت -د.ت)، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وان تكررت الذنوب والتوبة، ج١، ص٩٩، برقم (٧١٦٥) .

(٥) ينظر: شَرحُ صَحِيح مُسْلِم لِلقَاضِي عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِم بفَوَائِدِ مُسْلِم: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون

٢. قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ»[١] .

وجه الاستدلال: (يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ) أي: إذا تبلغ الروح إلى الحلقوم حين الموت[٢] .

مما سبق يتبين لنا: ان العبد إذا تاب من ذنوبه ينبغي له أن يكون بين الخوف والرجاء، يرجو من ربه سبحانه وتعالى قبول توبته بفضله وكرمه، ويخاف من عدم قبول التوبة مخافة أنه لم يأت بالتوبة على وجهها الذي أمره الله تعالى به، فيكون غير تائب عنده سبحانه وتعالى، وكذلك ينبغي لكل مؤمن بل ويجب عليه وجوباً متأكداً أن يحترز احترازاً كلياً من جميع الذنوب؛ وذلك لأن فيها سُخط الله تعالى ومقته وهي السبب في جميع المهلكات والبَلِيّات التي تحل بالعباد في الدنيا والآخرة، فإن وقع بشيء من الذنوب هنا يجب عليه أن يبادر بالتوبة إلى الحق تعالى من ذنبه من دون إصرار ولا رضا ولا إقامة على الذنب على الذنب. وينبغي أيضاً لكل مؤمن أن يبقى تائباً إلى الله تعالى، ومُجدداً للتوبة في كل الأوقات والأحوال، لأن الذنوب كثيرة منها: الكبائر والصغائر والباطنة والظاهرة، ومنها يعلمها العبد ومنها لا يعلمها، وقد يُؤاخذ بها من حيث أنه قصّر في طلب العلم بكونها ذنوباً أو أن لها مُقَدّمات وسوابق في العلم والاختيار[٣] .

المطلب الثاني: الإكثار من الاستغفار

أمر الباري عز وجل بالاستغفار بل والإكثار منه ورغب فيه في كثير من المواضع في كتابه العزيز وسنة حبيبه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقبل الحديث عن هذا الموضوع يجب علينا أن نعرف ما الاستغفار ؟

أولاً: تعريف الاستغفار: هو « استقلال الصالحات والإقبال عليها، واستكبار الفاسدات والإعراض

اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت:٥٤٤هـ)، تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، (مصر-١٩٩٨م) ، ج٨، ص٢٦٠؛ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت:٦٧٦ه)، دار إحياء التراث العربي، ط٢، (بيروت -١٣٩٢ه)، ج١٧، ٧٦ .

(١) مسند أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت:٢٤١ه)، تحقيق : السيد أبو المعاطي النوري، عالم الكتب، ط١، بيروت -١٩٩٨م)، ج٢، ص١٣٢، برقم (٦١٦٠) ؛ سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت:٢٧٩ه)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ١،٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، (جـ٤،٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، (مصر-١٩٧٥م)، ج٤، ص٣، برقم (٣٥٣٧).

(٢) ينظر: النصائح الدينية للحبيب عبد الله بن علوي الحداد: ص٣٨٤؛ قل هذه سبيلي للسيد محمد المالكي: ص١٠٤.

(٣) ينظر: النصائح الدينية للحبيب عبد الله بن علوي الحداد: ص٣٨٥، ٣٨٦؛ قل هذه سبيلي للسيد محمد المالكي: ص١٠٥، ١٠٦.

عنها «[1]. فيجب على العبد ان يقبل على الصالحات ويجعل لها استقلالية في نفسه ويبتعد عن كل ماسوها، ويستغفر الله سبحانه وتعالى في كل وقت وحين .

ثانياً: الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة:

أ. الأدلة من القرآن الكريم:

١. قال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾[2] .

وجه الاستدلال: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ أي: توبوا وارجعوا من ذنوبكم يعني الشرك والفواحش إلى الله تعالى فإنه كان غفاراً لمن تاب من الشرك، ومن فوائده: انه يرسل السماء عليهم بالمطر كلما احتاجوا إليه، ويعطيهم الأموال والأولاد، ويجعل لهم البساتين والأنهار في الجنان[3] .

٢. قال تعالى: ﴿ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[4] .

أي: كانوا لا ينامون من الليل إلا أقله، وربما نشطوا فمدوا إلى السحر، ثم أخذوا في الأسحار بالاستغفار، وقيل: وبالأسحار يصلون؛ وذلك أن صلاتهم بالأسحار لطلب المغفرة، وهو وصف من الله سبحانه وتعالى لعباده المصلين المُحسنين[5] .

ب. من السنة النبوية الشريفة:

١. قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: «مَنْ لَزِمَ الاِسْتِغْفَارَ، جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»[6] .

---

(١) التعريفات للجرجاني: ص١٨.

(٢) سورة نوح: الآيات (١٠-١٢) .

(٣) ينظر: بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي (ت:٣٧٣ه)، تحقيق: د.محمود مطرجي، دار الفكر، د.ط ، (بيروت - د.ت)، ج٣، ص٤٧٧ .

(٤) سورة الذاريات: الآية (١٨) .

(٥) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت:٥١٠ه)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط١، (بيروت- ١٤٢٠ه)، ج٤، ص٢٨٢؛ النصائح الدينية للحبيب عبد الله بن علوي الحداد: ص٣٨٦؛ قل هذه سبيلي للسيد محمد المالكي: ص١٠٦.

(٦) سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني(ت:٢٧٥ه)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، د.ط، (بيروت - د.ت)، ج٢، ص٨٥، برقم (١٥١٨)؛ سنن ابن ماجه: ابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ت:٢٧٣ه)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، محمَّد كامل قره بللي، عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط١، (د.م -٢٠٠٩م)،

هذا الحديث الشريف مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾[1]؛ لأن من يداوم على الاستغفار ويقوم بحقه كان متقياً وناظراً إلى قوله تعالى: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا﴾[2] وأشار بالإكثار إلى أن العبد لا يخلو من ذنب أو عيب ساعة فساعة، والعذاب عذابان أدنى وأكبر، فالأدنى عذاب الذنوب والعيوب، فإذا كان العبد مستيقظاً على نفسه فكلما أذنب أو أعتب أتبعها استغفاراً فلم يبق في وبالها وعذابها وإذا لها عن الاستغفار تراكمت ذنوبه فجاءت الهموم والضيق والعسر والعناء والتعب فهذا عذابه الأدنى وفي الآخرة عذاب النار، وإذا استغفر تنصل من الهم فصار له من الهموم فرجاً ومن الضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب[3] .

٢. قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: « طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا»[4] .

يبين هذا الحديث الحالة الطيبة، والعيشة الراضية، أو الشجرة المشهورة في الجنة العالية لمن وجد في صحيفته في الآخرة استغفاراً مقبولا؛ لأن استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير، فيدل على حصول ذلك جزماً على الإخلاص؛ لأنه إذا لم يكن مخلصاً فيه كان هباء منثوراً، فلم يجد في صحيفته إلا ما يكون حجة عليه ووبالاً له[5] .

فالاستغفار والتوبة هي من كنوز الخيرات، ومن أعظم أبواب البركات والقُرُبات، ومن أوصل وأقرب الوسائل إلى جميع خيرات الدنيا والآخرة، فعلى العبد أن يتوب ويستغفر ويسأل من ربه تعالى الإعانة والتثبيت، فإن غلبته نفسه على العود إلى الذنب فليَغْلِبها على العود إلى التوبة والاستغفار والله

ج٤، ٧٢١، برقم (٣٨١٩) .

(١) سورة الطلاق: الآية (٢) .

(٢) سورة نوح: الآية (١٠، ١١) .

(٣) ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (ت:١٠٣١ه)، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت – ١٩٩٤م)، ج٦، ص١٠٧ .

(٤) سنن ابن ماجه: ج٤، ٧٢١، برقم (٣٨١٨)؛ الدعاء: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت:٣٦٠ه)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت – ١٤١٣ه)، ص٥٠٦، برقم (١٧٨٩)؛ شعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت:٤٥٨ه)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١، الطبعة: الأولى، (د.م- ٢٠٠٣م).

(٥) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت:١٠١٤ه)، دار الفكر، ط١، (بيروت- ٢٠٠٢م)، ج٤، ص١٦٣٢.

تعالى الموفق والمعين[١].

مما سبق يتبين لنا: أن الإكثار من الاستغفار والمداومة عليه له أهمية كبيرة في حياة العبد فهو يمحو الذنوب، ويجعل بعد كل هم فرج، وبعد كل ضيق مخرج، ويرزق من حيث يعلم ولا يعلم بمشيئة الله تعالى.

المطلب الثالث: الرجاء في الله تعالى والخوف منه سبحانه تعالى:

أولاً: تعريف الرجاء والخوف

الرجاء: « تعلق القلب بمحصول محبوب في المستقبل»[٢] .

الخوف: « توقع حلول مكروه، أو فوات محبوب «[٣] .

ثانياً: حقيقة الرجاء والخوف:

١. حقيقة الرجاء: هو من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين، وإنما يسمى الوصف مقاماً إذا ثبت وأقام، ويسمى حالاً إذا كان عارضاً سريع الزوال[٤].

٢. حقيقة الخوف: « تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال، وقد يكون الخوف من جريان ذنوب، وقد يكون الخوف من الله تعالى بمعرفة صفاته التي تُوجِبُ الخوفَ لا محالة، وهذا أكمل وأتم؛ لأن مَن عرف الله تعالى خافه بالضرورة»[٥] .

ثالثاً: الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة:

الرجاء والخوف من المُقامات الشريفة والتي وصف الله تعالى بهما أنبياءه والمرسلين عليهم السلام وأتباعهم بإحسان من صالحي الأمة في كتابه العزيز وسنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى سبيل الفائدة سنذكر دليلاً واحداً من القرآن والسنة وعلى النحو الآتي:

أ. من القرآن الكريم:

---

(١) ينظر: النصائح الدينية للحبيب عبد الله بن علوي الحداد: ص٣٨٧؛ قل هذه سبيلي للسيد محمد المالكي: ص١٠٦، ١٠٧.

(٢) التعريفات للجرجاني: ص١٠٩؛ وينظر: التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت:١٠٣١ه)، عالم الكتب عبد الخالق ثروت، ط١، (القاهرة – ١٩٩٠م)، ص١٧٤ .

(٣) التعريفات للجرجاني: ص١٠١ .

(٤) ينظر: إحياء علوم الدين للغزالي: ج٤، ص١٧١ .

(٥) الأربعين في أصول الدن للغزالي: ص١٩٩؛ وينظر: إحياء علوم الدين للغزالي: ج٤، ص١٨٧ .

ـ قال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾[1].

وجه الاستدلال: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ . أي: أن العبادة لا تتم إلا بالخوف والرجاء، فبالخوف ينكف عن المناهي، وبالرجاء ينبعث على الطاعات، وينبغي أن يحذر منه تعالى، ويخاف من وقوعه وحصوله[2]، ومعنى الآية: يعنى ان الذين يعبدونهم ويدعونهم من دون الله تعالى لا يملكون نفعاً لأنفسهم ولا ضرّاً، وهم يطلبون الوسيلة إلى الله تعالى، أي: يتقربون إليه سبحانه وتعالى بطاعتهم رجاء إحسان الله تعالى، وطمعاً في رحمته تعالى، ويخافون العذاب[3].

ب. من السنة النبوية الشريفة:

ـ قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: « قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً »[4] .

أي: ما دمت تدعوني، وترجو مغفرتي، ولا تقنط من رحمتي، فإني أغفر لك، ولا يعظم علي مغفرتك، وإن كانت ذنوبك كثيرة وفي عدم المبالاة. «العنان» السحاب وهي صفائحها[5]، والمعنى: أنه لو كثرت ذنوبك كثرة تملأ ما بين السماء والأرض بحيث تبلغ أقطارها وتعم نواحيها, ثم استغفرتني, غفرت لك جميعها غير مبال بكثرتها, فإن استدعاء الاستغفار للمغفرة يستوي فيه القليل والكثير, والجليل والحقير[6].

(١) سورة الإسراء: الآية (٥٧) .
(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت:٧٧٤ه)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، (د.م- ١٩٩٩م)، ج٥، ص٨٩ .
(٣) ينظر: لطائف الإشارات= تفسير القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت:٤٦٥ه)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر- د.ت)، ج٢، ص٣٥٤ .
(٤) سنن الترمذي: ج٥، ص٥٤٨، برقم (٣٥٤٠) ، وقال: حديث حسن غريب .
(٥) ينظر: شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن): شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت:٧٤٣ه)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، (مكة المكرمة - ١٩٩٧م)، ج٦، ص١٨٤٥ .
(٦) ينظر: تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة: القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت:٦٨٥ه)، تحقيق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د.ط، (الكويت- ٢٠١٢م)، ج٢، ص٧٤ .

فالرجاء: قائد يقود العبد إلى الطاعات والموافقات، والخوف: زاجر يزجر الإنسان عن المعاصي والمخالفات، فمن لم يزجره خوفه عن معصية الله تعالى ولم يَقُدْه رجاؤه إلى طاعة الله عز وجل كان خوفه ورجاؤه حديث نفس لا يعتد بهما ولا يعول عليهما، لخلوهما عن فائدتها المطلوبة وثمرتها المقصودة(١).

« ثم الأفضل للمؤمن المستقيم على طاعة الله تعالى أن يكون بين الخوف والرجاء، حتى يكونا كجناحي الطائر، وكِفَّتي الميزان، قال سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم : « لَوْ وُزِنَ خَوْفُ الْمُؤْمِنِ وَرَجَاؤُهُ لَاعْتَدَلَا »(٢)، وأما المؤمن المخَلِّطُ الذي يخشى على نفسه من الوقوع في ترك الطاعات، وركوب المنهيات فالأصلح له والأولى به غلبة الخوف عليه، فإن الخوف يقبض النفس ويزجرها عن طغيانها وتعدِّيها، ومن كان بهذا الوصف من غلبة النفس واستيلاء الشهوة، وكان الرجاء مع ذلك غالباً عليه، ربما كان سبباً في هلاكه؛ لأنه كلما ذكر نفسه الأمارَّ بسعة رحمة الله تعالى، وكثرة تجاوزه عن الذنوب، ازداد على الله تعالى تجرُّؤاً، ومن طاعته تباعداً، وفي معصيته وقوعاً، فيهلك من حيث لا يشعر»(٣) .

«وقد ساء فهم بعض الناس في معنى الرجاء في الله تعالى وظنوا أن معناه إباحة الإقبال على المعاصي والاستمرار فيها اعتماداً على سعة الرحمة الإلهية فهلكوا من حيث لم ينووا»(٤)، وقد وقع في ذلك طوائف من عامة المسلمين المُغترين بالله تعالى، والرجاء على هذا الوصف هو الرجاء الكاذب وهو الاغترار بالله تعالى، وليس من الرجاء المحمود في شيء؛ لأن الرجاء المحمود هو الذي يقود العبد إلى العمل بطاعة الله تعالى، ويحمله على سلوك سبيل مَرْضاته، فليحذر المؤمن من الرجاء الذي يكون بهذه المثابة، فإنه غُرور من الشيطان، وشَرٌ ساقَه إليه في مَعْرض الخير، وأما إذا نزل الموت بالإنسان فالأليق به غلبة الرجاء،

(١) ينظر: النصائح الدينية للحبيب عبد الله بن علوي الحداد: ص٣٨٩؛ قل هذه سبيلي للسيد محمد المالكي: ص١٠٧.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي: ج٢، ص٣٢٨، برقم (٩٩٦) . وقال السخاوي: « لا أصل له في المرفوع، وإنما يؤثر عن بعض السلف، فللبيهقي في الشعب من طريق ثابت عن مطرف قال: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه ما رجح أحدهما على صاحبه، ومن طريق الأصمعي قال: قال مطرف: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه بميزان ما كان بينهما خيط شعرة، ومن طريق ابن عيينة عن شعبة قال: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه ما زاد خوفه على رجاؤه، ولا رجاؤه على خوفه، ومعناه صحيح، وقد قال أبو علي الروذباري: الخوف والرجاء كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطائر وتم طيرانه، وإذا انتقص واحد منهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا جميعا صار الطائر في حد الموت، لذلك قيل: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا، وأخرجه البيهقي أيضاً». المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت:٩٠٢ه)، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، ط١، (بيروت -١٩٨٥م)، ص٥٥٦،٥٥٥، برقم (٩٠٩) .

(٣) النصائح الدينية للحبيب عبد الله بن علوي الحداد: ص٣٨٩، ٣٩٠ .

(٤) قل هذه سبيلي للسيد محمد المالكي: ص١٠٧.

وحسن الظن بالله تعالى كيفما كان حاله، لقول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: « لاَ يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ »[1].

وعلى هذا يجب على المؤمن ان يحذر كل الحذر من الأمن من مكر الله تعالى ومن القُنوط من رحمته، قال تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[3] .

والأمن من مكر الله تعالى: عبارة عن تَمَحُّض الرجاء وذهاب الخوف من الله عز وجل بالكُلّية حتى لا يجوز أن الله تعالى يعذبه ويُعاقبه.

وأما القنوط: فهو عبارة عن تَمَحض الخوف وذهاب الرجاء بالكلية حتى لا يجوز أن الله تعالى يرحمه ويتجاوز عنه، والأمن من مكر الله تعالى، والقُنوط من رحمة الله تعالى من كبائر الذنوب فاحذر منهما أيها المؤمن، وكُن بين الخوف والرجاء، ولا تغتر بربك ، ولا تَجْتَرِئ عليه فإن ربك سريع العقاب، وإنه لغفور رحيم[4].

مما سبق تبين لنا: ان الرجاء هو من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين، وهو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب، والخوف: هو عبارة عن تألم القلب وإحتراقه بسبب توقع أمر مكروه[5] .

المطلب الرابع: الصبر على البلاء:

أولاً: تعريف الصبر: « هو التباعد عن المخالفات والسكوت من تجرع غصص البلية، وإظهار الغنى عند حلول الفقر بساحة المعيشة»[6] .

وقيل هو: « حبس النفس على ما يقتضيه العقل أو الشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه»[7] . فالصبر هو

(١) صحيح مسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، ج٨، ص١٦٥، برقم (٧٤١٢) .
(٢) سورة الأعراف: جزء من الآية (٩٩) .
(٣) سورة الحجر: الآية (٥٦) .
(٤) ينظر: النصائح الدينية للحبيب عبد الله بن علوي الحداد: ص٣٩٠، ٣٩١؛ قل هذه سبيلي للسيد محمد المالكي: ص١٠٨.
(٥) ينظر: إحياء علوم الدين للغزالي: ج٤، ص١٤٢، ١٥٥ .
(٦) ()دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي(ت:١٠٥٧ه)، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، (بيروت – ٢٠٠٤م)، ج١، ص١٤٥ .
(٧) ()المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت:٥٠٢ه)، تحقيق: صفوان

نعمة أنعمها الله تعالى على عباده ليصبر على المصائب والبلايا التي قد تقع عليه وفي الوقت نفسه يترك الشكوى لغير الله تعالى .

ثانياً: أقسام الصبر:

بين العلماء أن للصبر أقسام متنوعة[1] وكلها ترجع إلى ثلاثة أقسام نذكرها على النحو الآتي:

١. الصبر على الطاعات: هو الاستقامة على شرع الله تعالى والمثابرة الدائمة على العبادات القلبية والمالية والبدنية وعدم ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على كل ما يعترض ذلك من أنواع الابتلاء والمحن؛ لأن من ورث من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الدعوة والجهاد لا بد أن يصيبه ما أصاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب ومحاربة وأذى، قال تعالى عن لقمان وهو يوصي ابنه : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾[2].

وقد أقسم الله تعالى أن الناجين هم من تحققوا واتصفوا بأربع صفات هي: الإيمان، والعمل الصالح، والنصح للأمة، ثم الصبر على ذلك وثبت هذا في قوله: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾[3].

٢. الصبر على المعاصي: هو مجاهدة النفس من جميع نزواتها، ومحاربة انحرافها، وتقويم ما يطرأ عليها من اعوجاج، وقمع دوافع الفساد والشر التي يثيرها الشيطان فيها؛ فإذا ما جاهدها وزكاها وردَّها عن غيها وصل إلى الهداية التامة، كما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾[4]، وسيكون من المفلحين ببشارة الله تعالى بقوله: ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴾[6].

٣. الصبر على المصائب: الحياة الدنيا هي دار ابتلاء وامتحان، والله سبحانه وتعالى يختبر إيمان عباده – وهو أعلم بهم – بأنواع المصائب ليختبر المؤمنين بأنواع المحن كي يميز الخبيث من الطيب، والمؤمن من

عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية ، ط١، (دمشق، بيروت– ١٤١٢ه)، ص٤٧٤.

(١) ينظر: إحياء علوم الدين للغزالي: ج٤، ص٦٧-٦٩؛ الأربعين في أصول الدين للغزالي: ص٢١٥-٢١٧.

(٢) سورة لقمان: الآية (١٧) .

(٣) سورة العصر: الآيات (١-٣) .

(٤) سورة العنكبوت: جزء من الآية (٦٩) .

(٥) سورة الأعلى: الآيات (١٤، ١٥) .

(٦) سورة النازعات: الآيات (٤٠، ٤١) .

المنافق كما جاء في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴾(١) .

وسواء كانت هذه المصائب في الأهل أو في البدن أو في المال قال تعالى: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ ﴾(٢)(٣).

ثالثاً: الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة:

الصبر نصف الإيمان وهو من المنجيات العظيمة يوم القيامة، وهو سر سعادة الإنسان وعدة العبد المؤمن، وسلاح للعبد السالك في مجاهداته لنفسه، وحملها على الاستقامة على دين الله تعالى وشرعه وتحصنها من الانزلاق في الضلال والفساد، ولأهمية الصبر ورفعة مقامه ذكره الحق سبحانه وتعالى وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في مواضع كثيرة وعلى سبيل الفائدة سنذكر البعض منها وعلى النحو الآتي:

أ. من القرآن الكريم :

١. قال تعالى: ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ ﴾(٤)، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(٥) . في هذه الآيات يأمر الله سبحانه وتعالى عباده بالصبر ويرغبهم فيه .

٢. قال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾(٦) . تبين هذه الآية الكريمة كيف أن الله تعالى يثني على أهل الصبر.

ب. من السنة النبوية الشريفة :

١. قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: « مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»(٧).

(١) سورة العنكبوت: الآيات (١، ٢) .
(٢) سورة البقرة: الآيات (١٥٦-١٥٧) .
(٣) ينظر: حقائق عن التصوف لعبد القادر عيسى: ص٢٦٥، ٢٦٦ .
(٤) سورة الأعراف: جزء من الآية (١٢٨) .
(٥) سورة البقرة: الآية (١٥٣) .
(٦) سورة البقرة: الآية (١٥٣) .
(٧) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، (د.م- ١٤٢٢ه)، كتاب الجمعة، باب من انتظر حتى تدفن، ج٧، ص١١٤، (٥٦٤٢) .

يوضح هذا الحديث الشريف أنه من غير شك أن المؤمن الصادق يتلقى هذه المصائب بالتسليم والصبر والرضا والسرور؛ لأنه يعلم أن هذه النكبات والمصائب ما نزلت عليه من خالقه إلا لمحو سيئاته وتكفير ذنوبه(١) .

٢. قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: « عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ »(٢).

مما سبق يتبين لنا: أن المؤمن يحتاج حاجة شديدة إلى الصبر عند وقوع البلايا من الشدائد والمصائب والأذيات والفاقات بأن لا يجزع في حال نزل به شيء منها، بل عليه أن يطمأن ويتوقر ولا يتضجر ولا يضيق ولا يشكو إلى أحد من الخلق، ويرجع إلى خالقه بدعائه وخشوعه وخضوعه وتضرعه ويحسن الظن بالله تعالى، ويعلم يقيناً أن الله عز وجل لم ينزل به ذلك البلاء إلا وله فيه خير كثير من: رفع الدرجات، وزيادة الحسنات وتكفير السيئات، ويحتاج إلى الصبر عند فعل الطاعات بألا يكسل عنها ويُؤديها كما أمره الله تعالى من كمال الحُضور مع الله تعالى فيها، والإخلاص لله تعالى، وأن لا يكون بها مُرائياً، ولا مُتصنعاً للخلق، ومن شأن النفس التثاقل عن الطاعة والتكاسل عنها فيحتاج العبد إلى إكراهها على ذلك بحُسن الصبر. ويحتاج المؤمن إلى الصبر في كف نفسه عن المعاصي والمحرمات؛ لأن النفس قد تدعو إليها وتتحدث بالوقوع فيها فيمنعها بحسن صبره عن فعل المعاصي ظاهراً، وعن التحدث بها والميل إليها باطناً . ويحتاج المؤمن أيضاً إلى الصبر عن الشهوات والمُباحات التي تكون رغبة النفس فيها مقصورة على التلذذ والتمتع بالدنيا، فإن الإنهماك في ذلك والاسترسال معه يجُرُّ إلى الشبهات والمحرمات، ويُكثر الرغبة في الدنيا ويُهيج الحرص عليها، ويحمل على الإيثار للدنيا والأُنس بها، وعلى نسيان الآخرة والغفلة عنها، فالمؤمن يحتاج إلى الصبر في عموم أحواله ودوام أوقاته للفوز بكل خير والظفر بكل سعادة(٣) .

(١) ينظر: حقائق عن التصوف لعبد القادر عيسى: ص٢٦٦ .

(٢) صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، ج٨، ص٢٢٧، برقم (٧٦٩٢) .

(٣) ينظر: النصائح الدينية للحبيب عبد الله بن علوي الحداد: ص٣٩٢؛ قل هذه سبيلي للسيد محمد المالكي: ص١٠٩، ١١٠.

المبحث الثاني: الزهد في الدنيا، والحب في الله تعالى والرضا عنه، وحسن النية والإخلاص لله تعالى، وحسن التفكر والاستقامة .

المطلب الأول: الزهد في الدنيا:

أولاً: تعريف الزهد: هو» النظر إلى الدنيا بعين الزوال لتصغر في عينك فيسهل عليك الإعراض عنها»[1].

فالزهد هو تفريغ القلب من حب الدنيا وشهواتها، وامتلاؤه بحب الله ومعرفته، وعلى قدر تخلص القلب من الدنيا ومشاغلها يزداد لخالقه حباً ويكون له توجه ومراقبة ومعرفة، فالزهد وسيلة للوصول إلى الله تعالى، وشرطاً لنيل رضاه وحبه وليس غاية مقصودة لذاتها[2] .

ثانياً: حقيقة الزهد في الدنيا :

« للزهد في الدنيا حقيقة، وأصل، وثمرة .

أما حقيقته فهو: عزوف النفس عن الدنيا وانزواؤها عنها طوعاً مع القدرة عليها .

وأصله: العلم والنور الذي يشرق في القلب حتى ينشرح به الصدر، ويتضح به أن الآخرة خير وأبقى، وأن نسبة الدنيا إلى الآخرة أقل من نسبة خزفه إلى جوهرة .

وثمرته: القناعة من الدنيا بقدر الضرورة، وهو قَدْرُ زادِ الراكب، فالأصل نور المعرفة، فيثمر حال الإنزواء، ويظهر على الجوارح بالكف إلا عن قدر الضرورة في زاد الطريق، والضروري من زاد الطريق، مسكن، وملبس، ومطعم، وأثاث»[3] .

فحقيقة الزهد من حيث الباطن: هو خروج حب الدنيا من القلب وهَوَان الدنيا على العبد، حتى يكون إدبار الدنيا وقلة الشيء منها أحب إليه وآثر عنده من إقبال الدنيا وكثرتها، ومن حيث الظاهر: فيكون الزاهد منزوياً عن الدنيا وما فيها، ومُتجافياً عنها اختياراً مع القدرة عليها، ويكون مُقتصراً من سائر أمتعتها مسكناً ومأكلاً وملبساً وغير ذلك .

فمن أحب الدنيا بقلبه وسعى لجمعها ويقصد بذلك التنعُّم والتمتع بشهواتها، فهو إذن من الراغبين في الدنيا، وليس من الزهاد في شيء، فإن مالَ إلى الدنيا ورَغِب فيها لا لِتنَعُّم ولكن ليُنفِقها في الخيرات والقُربات، فهو على خير إن وافق عمله نيته، ولا يخلو في ذلك من خطر.

(١) الرسالة القشيرية: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت:٤٦٥ه)، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، دار المعارف، د.ط، (القاهرة- د.ت)، ج١، ص٢٤٠ .

(٢) ينظر: حقائق عن التصوف لعبد القادر عيسى: ص٢٨٠ .

(٣) الأربعين في أصول الدين للغزالي: ص٢٠٤ .

وأما من طلب الدنيا ورَغِب فيها فلم يتيسر له، ولم يحصل على مطلوبه منها فقيراً لا شيء له، فهذا هو الفقير وليس بالزاهد، وله في فقره فضل وثواب عظيم إن صبر عليه ورَضِي به .

وأما من تَبَسّط في الدنيا وتوسع في شهواتها، وادعى مع كل ذلك أنه غير راغب فيها، ولا مُحب لها بقلبه، فهو مغرور مُدّع، لا تقوم له حجة بدعواه وليس له في حالته تلك قدوة يقتدي به من الأئمة المُهتدين والعلماء الصالحين[1] .

ثالثاً: الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة:

أ. من القرآن الكريم:

ـ قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[2].

يبين الله تعالى في هذه الآية الكريمة أن من أجل القُربات وأفضل المنجيات يوم القيامة الزهد وقال الله تعالى مزهداً لعباده أن كَيفَ خلق لَهُم الزِّينَة فِي الحياة الدُّنْيَا ليختبرهم ويصيدهم بهَا وبملذاتها وشهواتها وليعرف الزاهد من غيره بهذا الاختبار[3].

ب. من السنة النبوية الشريفة:

ـ روى سهل بن سعد الساعدي (رضي الله عنه): قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ»[4] .

يوضح هذا الحديث الشريف كيف أن الزهد في الدنيا وما فيها يؤدي إلى رضى الباري عز وجل حبه للعبد .

(١) ينظر: النصائح الدينية للحبيب عبد الله بن علوي الحداد: ص٣٩٧؛ قل هذه سبيلي للسيد محمد المالكي: ص١١٢ .

(٢) سورة الكهف: الآية (٧) .

(٣) ينظر: حز الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر: شيث بن إبراهيم بن محمد بن حيدرة، أبو الحسن القفطي، ضياء الدين المعروف بابن الحاج القناوي (ت:٥٩٨ه)، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، (بيروت -١٤٠٥ه)، ص٧٨ .

(٤) سنن ابن ماجة: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت:٢٧٣ه)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، د.ط (د.م -د.ت) كتاب الزهد، باب الزهد في الدنيا، ج٢، ص١٣٧٣، برقم (٤١٠٢).

مما سبق يتبين لنا: الزهد مقام شريف ورفيع؛ لأنه سبب لمحبة الحق سبحانه وتعالى، ولهذا السبب دعا إليه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

المطلب الثاني: الحب في الله تعالى والرضا عنه سبحانه وتعالى

أولاً: تعريف الحب والرضا

الحب: « أمر طبعي لا يدخل تحت الاختيار»(١)، وهو «نقيض البغض»(٢).

الرضا: « سرور القلب بِمُرِّ القضاء»(٣).

وقيل هو: « نظر القلب إلى قديم اختيار الله تعالى للعبد وهو ترك التسخط»(٤). أو هو: «سكون القلب تحت مجاري الأحكام»(٥) .

ثانياً: معناهما:

الحب في الله تعالى: من أشرف المقامات وأرفعها، وهو مَيْل وتَعَلق وتأله يجده العبد إلى ذلك الجَناب الأقدس الرفيع، مصحوباً بنهاية التقديس والتزيه، وغاية الهيبة لله تعالى والتعظيم، لا يخالطه شيء من خواطر التشبيه ولا يُمازِحه شيء من أوهام التكييف، تعالى الله تعالى عن ذلك عُلوّاً كبيراً .

فمن صَدَق في محبة الله تعالى دعاه ذلك إلى إيثار الله تعالى على ما سواه وإلى التشمير لسلوك سبيل قُربْه ورضاه، وإلى الجد في طاعته وبذل الاستطاعة في خدمته وترك ما يشغل عن ذكره وحسن معاملته عن كل شيء(٦) .

وأما الرضا عن الله تعالى: فهو مجال شريف عزيز، والراضي عن الله تعالى هو الراضي بقضائه، فمهما قضى عليه الله تعالى بما يخالف هواه وبما لا تشتهيه نفسه من مصيبة في نفس أو مال أو شدة أو بلية فعليه أن يرضى بذلك ويطيب نفساً، ولا يسخط قضاء الله تعالى ولا يجزع، فإن لله سبحانه أن يفعل في ملكه

(١) مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار: جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّني الكجراتي (ت:٩٨٦ه)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط٣، (د.م-١٩٦٧م)، ج١، ص٤٣٠.

(٢) تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت:٣٧٠ه)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط١، (بيروت-٢٠٠١م)، ج٤، ص٨ .

(٣) التعريفات للجرجاني: ص١١١ .

(٤) الرسالة القشيرية للقشيري: ج٢، ٣٤٤ .

(٥) الرسالة القشيرية للقشيري: ج٢، ٣٤٤ .

(٦) ينظر: النصائح الدينية للحبيب عبد الله بن علوي الحداد: ص٤٠٢، ٤٠٣؛ قل هذه سبيلي للسيد محمد المالكي: ص١١٤.

ما يشاء، وليس له في سلطانه منازع ولا معارض .

وليحذر العبد عند ذلك من: لو، ولم، وكيف؟ ، وليعلم إن الله سبحانه وتعالى عادل حكيم في جميع أفعاله وأقضيته، وأنه لا يقضي لعبده المؤمن بشيء وإن كرهته نفسه إلا ويكون له فيه خير وخيرة، وعاقبة حسنة فليُحسن ظنه بربه تبارك وتعالى وليرضى بقضائه واليرجع إليه بِذُلٍّ وافتقاره وليقف بين يديه بخضوعه وانكساره، وليكثر من حمده تعالى والثناء عليه في يسره وعسره، ورخائه وشدته[١] .

ثالثاً: الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة:

أ. من القرآن الكريم:

١. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِ ﴾[٢].

٢. قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[٣] . توضح هذه الآية الكريمة أن من أعظم ما يدل على محبة الله تعالى حسن الاتباع لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم[٤] .

٣. قال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ ﴾[٥].

ب. من السنة النبوية الشريفة:

١. قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: « ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا »[٦].

٢. قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: « إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاَهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»[٧].

(١) ينظر: النصائح الدينية للحبيب عبد الله بن علوي الحداد: ص٤٠١، ٤٠٢؛ قل هذه سبيلي للسيد محمد المالكي: ص١١٤، ١١٥.

(٢) سورة البقرة: جزء من الآية (١٦٥) .

(٣) سورة آل عمران: الآية (٣١) .

(٤) ينظر: النصائح الدينية للحبيب عبد الله بن علوي الحداد: ص٤٠٢؛ قل هذه سبيلي للسيد محمد المالكي: ص١١٤.

(٥) سورة البينة: جزء من الآية (٨) .

(٦) جزء من حديث في: صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، ج١، ص١٢، برقم (١٦)؛ صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، ج٦، ص٤٧، برقم (١٧٤) .

(٧) سنن ابن ماجة: ج٢، ص١٣٣٨، برقم (٤٠٣١)؛ سنن الترمذي: ج٤، ص٦٠١، برقم (٢٣٩٦) .

المطلب الثالث: حُسن النية والإخلاص لله تعالى:

أولاً: تعريف النية والإخلاص:

النية: «عبارة عن انبعاث القلب نحو ما يراه موافقاً من جلب نفع أو دفع ضر، حالاً أو مآلاً»(١).

الإخلاص: «إفراد الحق سبحانه في الطاعة بالقصد، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله سبحانه دون شيء آخر من تصنعٍ لمخلوق أو اكتساب مَحْمَدَةٍ عند الناس أو محبة مدحٍ من الخلق أو معنى من المعاني سوى التقرب به إلى الله تعالى»(٢).

ثانياً: معناهما:

معنى النية: « إرادة وجهه تعالى»(٣) .

معنى: الإخلاص: « أن يكون قَصد الإنسان في جميع طاعاته وأعماله مُجرد التقرُّب إلى الله تعالى، وإرادة قُربه ورضاه دون غَرَض آخر من مُراءاة الناس، أو طلب مَحْمَدة منهم أو طَمع فيهم»(٤) .

فيتبين لنا: من خلال التعريف والمعنى لكل من النية والإخلاص أنه على العبد أن يُحسن النية ويخلص بها لله تعالى فهي من أعظم المنجيات وأهمها، ولا يعمل شيئاً من الطاعات إلا أن يكون ناوياً به التقرب إلى الله تعالى ابتغاء وجهه وطلب رضاه وإرادة الثواب الأخروي الذي وعد به سبحانه وتعالى على تلك الطاعة من باب الفضل والمِنّة، ولا يدخل في شيء من المُباحات حتى الأكل والشرب والنوم إلا ويقصد بذلك الاستعانة على طاعة الله تعالى وحصول التقوّي به على عبادته تعالى فبذلك تُلحق المُباحات بالطاعات، فإن للوسائل أحكام المقاصد، والمغبون من غبن في حسن النية.

أيها العبد اجعل لك في طاعاتك ومباحاتك نيات كثيرة صالحة، يحصل لك بكل واحدة منها ثواب تام من فضل الله تعالى، وما عجزت عنه من الطاعات والخيرات ولم تتمكن من فعله فانوهِ واعزم على فعله عند الاستطاعة، وقل بصدق وعزم وصلاح نية: لو استطعته لفعلته، فقد يحصل لك بذلك ثواب الفاعل(٥).

(١) الأشباه والنظائر: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت:٩١١ه)، دار الكتب العلمية، ط١، (د.م -١٩٩٠م)، ص٣٠ .
(٢) الرسالة القشيرية للقشيري: ج٢، ص٣٥٩ .
(٣) الأربعين في أصول الدين للغزالي: ص٢٢٤ .
(٤) النصائح الدينية للحبيب عبد الله بن علوي الحداد: ص٤٠٥؛ قل هذه سبيلي للسيد محمد المالكي: ص١١٧.
(٥) النصائح الدينية للحبيب عبد الله بن علوي الحداد: ص٤٠٤؛ قل هذه سبيلي للسيد محمد المالكي: ص١١٦.

ثالثاً: الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة:

أ. من القرآن الكريم:

ـ قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾[1].

يبين الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنه» جعل عبادة الله تعالى وإخلاص القلب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كله من الدين»[2] .

ب. من السنة النبوية الشريفة:

١. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[3] .

يبين هذا الحديث الشريف أن العمل مقترن بالنية.

٢. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَخْلَصَ للَّهِ تَعَالَى أَرْبَعِينَ يَوْمًا ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ عَلَى لِسَانِهِ»[4].

المطلب الرابع: حُسن التّفَكُّر والاستقامة

ومن المنجيات من عذاب يوم القيامة هو حسن التفكر واستقامته والذي فيه فوائد عظيمة، ومنافع كثيرة، وقبل الحديث عنه لا بد لنا أن نعرف التفكر والاستقامة وعلى النحو الآتي:

أولاً: تعريف التفكر والاستقامة

التفكر: « تصرف القلب في معاني الأشياء؛ لدرك المطلوب، وسراج القلب يرى به خيره وشره، ومنافعه

(١) سورة البينة: الآية (٥) .

(٢) لمعة الاعتقاد: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت:٦٢٠ه)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط٢، (المملكة العربية السعودية – ٢٠٠٠م)، ص٢٦ .

(٣) صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ج١، ص٦، برقم (١) .

(٤) الزهد والرقائق لابن المبارك (يليه «مَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حمَّادٍ فِي نُسْخَتِهِ زَائِدًا عَلَىَ مَا رَوَاهُ الْمَرْوَزِيُّ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ»): أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (ت:١٨١ه)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، د.ط، (بيروت – د.ت)، ج١، ص٣٥٩، برقم(١٠١٤) ؛ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت:٤٣٠ه)، دار السعادة، د.ط، (مصر – ١٩٧٤م)، ج٥، ص١٨٩ .

ومضاره، وكُّل قلب لا تفكّرَ فيه فهو في ظُلمات يتخبَّط، وقيل: هو إحضار ما في القلب من معرفة الأشياء»[١] .

الاستقامة: الوفاء بالعهود كلها، وملازمة الصراط المستقيم برعاية حد التوسط في كل الأمور، من الطعام والشراب واللباس، وفي كل أمر ديني ودنيوي، فذلك هو الصراط المستقيم، كالصراط المستقيم في الآخرة، وقيل: الاستقامة: أن يجمع بين أداء الطاعة واجتناب المعاصي، وقيل: الاستقامة ضد الاعوجاج، وهي مرور العبد في طريق العبودية بإرشاد الشرع والعقل»[٢].

ثانياً: أنواع التفكر وثمراته:

للتفكر أنواع كثيرة وأشرف أنواعه وأفضلها هي:

١. التفكر في أفعال الله عز وجل وعجائب مَصنوعاته في أرضه وسماواته، ومن أحسَنَ التفكر في ذلك أثمر له زيادة المعرفة بالله تعالى.

٢. التفكر فيما لله عليك من النعم والآلاء الدينية والدنيوية، وحسُن التفكُّر في ذلك يثمر زيادة الحب لله سبحانه وتعالى، ويَحُث على الشكر لله تعالى .

٣. أن تتفكَّر في عظيم حق الله تعالى عليك، وكثرة تقصيرك عن القيام بحقوق ربُوبيته، وحسنُ التفكُّر في ذلك يُثْمر الخوف والخشية والحياء من الله تعالى ويبعث على التّشْمير والجد في طاعته وإقامة حَقّه سبحانه وتعالى .

٤. التفكُّر في الدنيا وسُرْعة زوالها، وكثرة أكْدارها وأشغالها، وحُسْن التفكر في ذلك يُثْمِر الزهد في الدنيا، والتجافي عنها، وقلة الرغبة فيها .

٥. التفكُّر في الآخرة وبقائها، وصفاء نعيمها ودوام لذاتها وسرورها، وحسن التفكُّر في ذلك يثمر إيثار الآخرة وكثرة الرغبة فيها، والتشمير في العمل لها .

ومجاري الفكر كثيرة، وكلما كانت بصيرة العبد أنفذ، وكان علمه أغزر وأوسع، كان تفكُّره أعظم وأكثر[٣] .

ثالثاً: الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة:

(١) التعريفات للجرجاني: ص٦٣ .
(٢) التعريفات للجرجاني: ص١٩ .
(٣) ينظر: النصائح الدينية للحبيب عبد الله بن علوي الحداد: ص٤٠٩؛ قل هذه سبيلي للسيد محمد المالكي: ص١١٩.

أ. من القرآن الكريم:

ـ قال تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ﴾[1] .

يبين الله تعالى للعباد في هذه الآية الكريمة كيفية التفكر فِي أمر الدُّنْيَا ليعرفون هِيَ دار بلاء، ودار فناء، ثُمّ يفكروا فِي الآخرة فيعرفون فضلها هي دار خير ودار بقاء فيعملون لها فِي أيام حياتهم، فهذا هو التفكر فيهما[2] .

ب. من السنة النبوية الشريفة: ـ روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: « تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ»[3].

الخاتمة

وبحمد الباري عز وجل وفضل منه ونعمه، نكتب خاتمة بحثنا بعد هذه الرحلة من البحث في المنجيات التي تدخل العبد الجنة، وتنجيه من عذاب يوم القيامة، نكتب ثمرة بحثنا ونتائجه التي توصلنا إليها وعلى النحو الآتي:

١. رحمة الله سبحانه وتعالى لعباده أن جعل لهم منجيات تنجيهم من عذاب يوم القيامة وتدخلهم الجنة .

٢. خص الله سبحانه وتعالى لعباده التوبة، ليغفر ذنوبهم ويبشرهم بجنته .

٣. جعل الله تعالى الاستغفار لعباده ليخرجهم من كل ضيق، ويشرح به صدورهم ويرزقهم من حيث لا يحتسبون .

٤. خص الله عز وجل أمته بالخوف والرجاء، إذ بالخوف ينكف العبد عن المناهي، وبالرجاء ينبعث على الطاعات .

٥. أنعم الله تعالى على بنعمة الصبر، ليصبر على البلايا والمصائب، ويعوضه بالجنة .

---

(١) سورة البقرة: جزء من الآيات (٢١٩، ٢٢٠) .

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت:١٥٠ه)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، ط١، (بيروت-١٤٢٣ه)، ص١٨٢، ١٨٣ .

(٣) العظمة: أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني (ت:٣٦٩ه)، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، ط١، (الرياض -١٤٠٨ه)، ١، ص٢٩٧، برقم (٤٢) . وقال المتقي الهندي في كنز العمال:»أبو الشيخ في العظمة عن ابن عباس موقوفاً»، ينظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (ت:٩٧٥ه)، تحقيق: بكري حياني - صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط٥، (د.م -١٩٨١م)، ج٣، ص١٠٧، برقم (٥٧١١) .

٦. جعل الله تعالى قلب المؤمن متعلق بحبه، والرضا عنه في كل أحواله .

٧. خص الله تعالى عباده بالنية الحسنة، والإخلاص له تعالى، أي: يكون قصده في جميع طاعاته وأعماله التقرب له تعالى .

٨. خص الله تعالى قلوب عباده بحسن التفكر ليتفكروا بخلق الله تعالى .

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يكون هذا العمل والبحث خالصاً لوجهه الكريم.

المصادر

القرآن الكريم

١. إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت:٥٠٥هـ)، دار المعرفة، د. ط، (بيروت- د.ت) .

٢. الأربعين في أصول الدين في العقائد وأسرار العبادات والأخلاق: الأمام حُجة الإسلام أبي حامد الغزالي (ت:٥٠٥ه)، عني به وصححه وخرج أحاديثه: عبد الله الحميد عرواني، مراجعة الشيخ الدكتور: محمد بشير الشقفة، دار القلم الأولى، د.ط (دمشق -٢٠٠٣م).

٣. الأشباه والنظائر: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت:٩١١ه)، دار الكتب العلمية، ط١، (د.م -١٩٩٠م).

٤. بحر العلوم : أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي (ت:٣٧٣ه)، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، د.ط، (بيروت- د.ت).

٥. بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي (ت:٣٧٣ه)، تحقيق: د.محمود مطرجي، دار الفكر، د.ط ، (بيروت - د.ت) .

٦. تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة: القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت:٦٨٥ه)، تحقيق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د.ط، (الكويت- ٢٠١٢م).

٧. التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت:٨١٦ه)، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت -١٩٨٣م) .

٨. تفسير التستري: أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (ت:٢٨٣ه)، جمعها: أبو

بكر محمد البلدي، المحقق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت-١٤٢٣ه).

٩. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت:٧٧٤ه)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، (د.م- ١٩٩٩م).

١٠. تفسير مقاتل بن سليمان: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت:١٥٠ه)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، ط١، (بيروت-١٤٢٣ه).

١١. تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت:٣٧٠ه)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط١، (بيروت-٢٠٠١م) .

١٢. التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت:١٠٣١ه)، عالم الكتب عبد الخالق ثروت، ط١، (القاهرة -١٩٩٠م) .

١٣. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل، د.ط، (بيروت -د.ت) .

١٤. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، (د.م- ١٤٢٢ه).

١٥. حز الغلاصم في إفحام المخاصم عند جريان النظر في أحكام القدر: شيث بن إبراهيم بن محمد بن حيدرة، أبو الحسن القفطي، ضياء الدين المعروف بابن الحاج القناوي (ت:٥٩٨ه)، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، (بيروت -١٤٠٥ه) .

١٦. حقائق عن التصوف: لفضيلة الشيخ عبد القادر عيسى (ت:١٤١٢ه)، د.ط (د.م- د.ت).

١٧. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت:٤٣٠ه)، دار السعادة، د.ط، (مصر - ١٩٧٤م).

١٨. الدعاء: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت:٣٦٠ه)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت - ١٤١٣ه).

١٩. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين: محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي

الشافعي(ت:١٠٥٧ه)، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، (بيروت – ٢٠٠٤م)

٢٠. الرسالة القشيرية: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت:٤٦٥ه)، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، دار المعارف، د.ط، (القاهرة– د.ت).

٢١. الزهد والرقائق لابن المبارك (يليه «مَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي نُسْخَتِهِ زَائِدًا عَلَى مَا رَوَاهُ الْمَرْوَزِيُّ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ»): أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (ت:١٨١ه)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، د.ط، (يروت – د.ت).

٢٢. سنن ابن ماجة: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت:٢٧٣ه)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي، د.ط (د.م –د.ت) .

٢٣. سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني(ت:٢٧٥ه)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، د.ط، (بيروت – د.ت).

٢٤. سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت:٢٧٩ه)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ١،٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف، (جـ٤،٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، (مصر– ١٩٧٥م).

٢٥. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ(الكاشف عن حقائق السنن): شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت:٧٤٣ه)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، (مكة المكرمة – ١٩٩٧م).

٢٦. شَرْحُ صَحِيح مُسْلِم لِلقَاضِي عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِم بفَوَائِدِ مُسْلِم: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت:٥٤٤هـ)، تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، (مصر–١٩٩٨م).

٢٧. شعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي

(ت:٤٥٨ه)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١، (د.م-٢٠٠٣م).

٢٨. العظمة: أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني (ت:٣٦٩ه)، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، ط١، (الرياض -١٤٠٨ه).

٢٩. فيض القدير شرح الجامع الصغير: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (ت:١٠٣١ه)، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت - ١٩٩٤م).

٣٠. قل هذه سبيلي: السيد محمد بن علوي بن عباس المالكي المكي الحسني، (ت: ٢٠٠٤م)، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط٣، (الرياض-١٩٩٩م) .

٣١. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (ت:٩٧٥ه)، نحقيق: بكري حياني - صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط٥، (د.م - ١٩٨١م).

٣٢. لطائف الإشارات= تفسير القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت:٤٦٥ه)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (مصر - د.ت).

٣٣. لمعة الاعتقاد: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت:٦٢٠ه)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط٢، (المملكة العربية السعودية - ٢٠٠٠م).

٣٤. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت:١١٨٨ه)، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، ط٢، (دمشق-١٩٨٢م).

٣٥. مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار: جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (ت:٩٨٦ه)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط٣، (د.م-١٩٦٧م).

٣٦. مجمل اللغة لابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت:٣٩٥ه)، دراسة

وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، ط٢، (بيروت-١٩٨٦م).

٣٧. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت:١٠١٤ه)، دار الفكر، ط١، (بيروت- ٢٠٠٢م).

٣٨. مسند أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت:٢٤١ه)، تحقيق : السيد أبو المعاطي النوري، عالم الكتب، ط١، بيروت -١٩٩٨م).

٣٩. معالم التنزيل في تفسير القرآن: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت:٥١٠ه)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط١، (بيروت- ١٤٢٠ه).

٤٠. المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت:٥٠٢ه)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية ، ط١، (دمشق، بيروت- ١٤١٢ه).

٤١. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت:٩٠٢ه)، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، ط١، (بيروت -١٩٨٥م).

٤٢. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت:٦٧٦ه)، دار إحياء التراث العربي، ط٢، (بيروت -١٣٩٢ه).

٤٣. النصائح الدينية والوصايا الإيمانية: الحبيب عبد الله بن علوي الحداد الحضرمي الشافعي، (ت:١٧٢٠م)، دار الحاوي، ط٣، (د.م - ١٩٩٩م) .